الايطالي وكثيرين من رجال الحالتين لا فائدة من ذكر اسمائهم ولكن كثرتهم تدل على صدق القول بان الموسيقى والفلسفة التامة تكونان عوناً عظيما على طول البقاء ولعله يوجد حالات اخرى لم يضبطها تقويم

على انه قد يظن البعض انه اذا كان طول البقاء موكولاً الى هاتين الحالتين فانه سهل ميسور لان الموسيقى شائعة والفلسفة ملء الكتب ولكن الحقيقة ان الذين نشير اليهم هم الماهرون البارعون فان الرجل اذا كان موسيقياً من جهة الصنعة فقط فانه لا يكون آمناً من دهره محبوباً من رهطه الاحين يكون منفرداً بعلمه مميزاً بصنعته او يكون ذا صوت رخيم وهو ما لا تسمح به الطبيعة الا للاقلية وكذلك الفلسفة التامة والطب المتناهي فانهما لا يصاحبان كل متفلسف ولا يكونان مع كل طبيب

ولكن لما كان طول العمر هو من جملة مواهب الله فان الحالات التي نشير اليها هي من جملة تلك المواهب فلا ينبغي ان يطمع بها من لم يكن موهوباً اياها ولاسيما الموسيقى والصوت الحسن فان صنة الاحسان الالهي ظاهرة فيهما كل الظهور وكلاهما من جملة المقدور

ابو العلاء

هو الشاعر الحكيم المشهور باستعماله الحكم في اثناء شعره ولا سيما في لزومياته ولكنه لا يعد من شعراء الطبقة الاولى لان اكثر شعره ولا سيما في ديوانه سقط الزند لا يكاد يعد شعراً لانه يشبه ابا تمام في تعمده دس وحشي الالفاظ ومهجور التراكيب في نظمه ولهذا يندر ان ترى له قصيدة خالصة من هذه العيوب فان قصيدته التي يرثي بها امه ومطلعها

سمعت نعيها صمي صمام وان قال العواذل لا هام

والقصيدة الاخرى التي يرثي بها احد الاشراف ومطلعها

اودى فليت الحادثات كفاف مال المسيف وعنبر المستاف

وكثيرات غيرها مما لا يكاد يحسب الا كلاماً موزوناً لا طلاوة شعر فيه ولا شروط شعر فضلاً عن اساءته في تعمد ذلك تعمداً كأنما يحسبه فضلاً وهو عين النقص وهذا مما يعد غريباً من مثل ابي العلاء المشهور ببعد النظر وجودة النقد . ولكننا حين نرجع الى طبع ابي العلاء نجده شاعراً مجيداً من الطبقة الاولى لانه حين يرسل الشعر من عند نفسه مضمناً اياه اغراضه الخاصة كان يعلو به الى ارفع المنازل فان قصيدته اللامية التي يفتخر بها ومطلعها

الا في سبيل المجد ما انا فاعل عفاف واقدام وحزم ونائل

تعد من اعلى درجات الشعر ولا يمكن ان يكون اجود منها في معناها

كما لا يمكن تغيير وضع منها بوضع اجود منه . ولو كان شعر ابي العلاء يجري على هذا النمط البديع او على نمط لزومياته لعد في ارفع رتبة بين الشعراء ولكنه سامحه الله كان يجري مجرى ابي تمام فيتوهم ان غموض المعاني ومعقد التراكيب انما هو الشعر الصحيح مع انه على خطأ كبير

اما لزومياته فهي دون شك من احسن اشعاره وهي سبب اشتهاره الى حد لا يدانيه فيه احد لان العامة التي لا تدري القراءة تعرف ابا العلاء وتتحدث به وتروي اشعاره وتلقبه بالفيلسوف الحكيم مع ان المتنبي وامثاله لا يعرفهم الا الخواص والمتأدبون

ولقد ظهر بعد ابي العلاء بقليل شاعر فارسي مجيد اسمه عمر الخيام جرى مجرى ابي العلاء في لزومياته وحكمه فوصلت اقواله الى اوربا وترجمها الانكليز فنزلت عندهم في ارفع منزل وصاروا يسمون الملاعب والنوادي باسمه تنويهاً به وتخليداً لذكره حتى رأى حضرة الشاعر المجيد امين افندي ريحاني احد ادباء السوريين في الولايات المتحدة ان ابا العلاء المعري احق بهذه المنزلة من عمر لان عمر اخذ اكثر معاني ابي العلاء ونظمها بالفارسية ولذلك دعته غيرته الادبية وعصبيته لابي العلاء الى نقل بعض اشعاره الى الانكليزية فنظمها شعراً وطبعها في كتاب اهدى الينا نسخة منه فوجدناه كتاباً نفيساً دالاً على توقد ذهن المترجم وفصاحة نظمه في تلك اللغة مع صحة النقل وتأدية كل المعاني على اجمل الصور وافصحها . وقد كنا نود لولا ضيق المقام ان ننقل شيئاً من ترجمته المنظومة للدلالة على حسن بيانه مع ذكر الاصل العربي للدلالة على صحة النقل ولكننا نكتفي بنقل ترجمة هذين البيتين كدليل على سائر الابيات وهما

والحمد والكبر ضدان اتفاقهما	مثل اتفاق فتاء السن والكبر
يجنى تناقص هذا من تزايدذا	والليل ان طال غال اليوم بالقصر

Virtue and Pride cannot each other greet;
As Youth and Age themselves can never meet;

When this one grows the other shrinks, and when
The Night is long the Day is not complete.

فانه ترجمها ترجمة جاءت بكل المعنى ونفس التركيب تقريباً . وقد زاد على صحة نقله انه دل على المعاني التي اخذها عمر الخيام من ابي العلاء مع معان اخرى اخذها منه شعراء الانكليز ولعلها جاءت من قبيل توارد الخواطر .

ولقد كان حضرته يزيد احساناً لو وضع الابيات العربية مع الانكليزية للمقابلة بين الطرفين من اجل قراء العربية لان اكثرهم لا يحفظون شعر ابي العلاء ليرجعوا الى الاصل ويقابلوه بالترجمة

الا ان الكتاب قد وضع بالاكثر للانكليز والاميركان انفسهم اذ المقصود اطلاعهم على شعر معاني هذا الشاعر العظيم واعتدال مذهبه وسداد طريقته . فنحن نمتدح حضرة المترجم سائلين له جزاء المحسنين ونعتقد انه قد دعي الريحاني بحق لانبات قريحته مثل هذه الرياحين